عون الولي الحميد بشرح كتاب التوحيد
للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

الشارح..
الشيخ عصام بن عبد المنعم المري حفظه الله

٦٣-باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله : من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك» رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة...» إلخ.

الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

هذا باب ما جاء في الإقسام على الله عز وجل.. هذا الباب يحتاج إليه كل إنسان لا أقول الداعية إلى الله فقط ولكن يحتاج إليه الدعاة إلى الله في المقام الأول

ويحتاج إليه غير الدعاة إلى الله جل وعلا في المقام الثاني لما سيأتي من فوائد هذا الباب.

وهذا الباب فيه وجوب التأدب مع الله جل وعلا في الأقوال وفي جميع الأحوال . وفيه بيان أن العبد عليه أن يعامل نفسه بأحكام العبودية ويعامل ربه بأحكام الربوبية يعني العبد يعلم أنه عبد ويعلم أن له ربا، عندما يدعوه أو عندما يدعو إليه فيعلم أن هذا العبد عبد للرب فيتأدب مع ربه في كلامه وفي أحواله وفي فعاله، لما سيأتي في هذا الباب من عقوبة وعاقبة من خالف ذلك الأدب مع ربه.

فيجب عليك تشعر نفسك أنك عبد تتعامل على أنك عبد وأن الله جل وعلا هو الرب، إذا خالفت هذه القاعدة حصل عليك تأثير كبير جدا في دنياك وفي آخرتك، فقد تفقد كل حسناتك وتفقد كل ما بنيت من الخير وزرعت من الحسنات إذا خالفت هذا الأدب.

وسيأتي في هذا الباب أنه لا يتم إيمان العبد حتى يدع الإعجاب بعمله وبنفسه ويدع الإدلال والمن على الله جل وعلا بعمله، لا يتم له إيمان حتى يدع العجب، الإعجاب أخو الكبر والإعجاب يولد الكبر، حتى يدع العجب والإدلال والمن على الله جل وعلا بالعمل.. لا يستقيم له إيمان حتى يدع هذا، وإذا وقع في أحد هذه الأمور فقد وقع في كبيرة من الكبائر وهي مخلة ومنقصة لتوحيده، وخطيرة على العبد، وقد تؤدي به والعياذ بالله إلى سوء الخاتمة كما سيأتي .

يتكلم المؤلف رحمه الله تعالى في هذا الباب على مسألة الإقسام على الله جل وعلا، باب ما جاء في الإقسام، من الحلف، أقسم بالله يعني حلف بالله،

قوله (ما جاء في الإقسام على الله) وهناك فرق بين القسم بالله والقسم على الله وإن كانت هذه مسألة واضحة عند الكثير لكن القسم بالله أن تقول والله لا أفعل كذا والله لأفعلن كذا، هذا قسم بالله، سبق الكلام عليه ، لكن القسم على الله أن تقسم على الله ألا يفعل الرب جل وعلا شيئا أنت تريده.. تقسم على الله ألا يفعل بفلان كذا أو أن يفعل كذا، يعني الأمر يكون فيه شيء من العجب، كمن يقسم على ربه، يعني يقسم المخلوق على مخلوق والله يا فلان لتفعلن كذا، والله لتأتي أو والله لتعطي فلانا كذا، يقسم على المخلوق، لكن أرأيت من يقسم على الله أن يفعل.. أليس هذا فيه مخالفة للأدب؟ وقد ذكر أهل العلم ان الإقسام على الله أو الحلف على الله نوعان أو قسمان: قسم مذموم وهو الذي نتكلم فيه اليوم، قسم مذموم وممنوع وحرام وكبيرة من الكبائر أن يقسم العبد على ربه حجرا على رحمة الله، وعجبا بعمله ، يعني يحجر رحمة الله الواسعة، والله لن يغفر الله لفلان، والله لن يرحم فلانا، والله لن يعطيك شيئا، والله لن يدخلك الجنة، يقول لأحد الناس إذا تخاصم معه أو إذا غضب منه أو إذا كان بينه وبين أخيه خصومة أو بين خادمه، وهذا موجود في حياة الناس، حتى عند السوقة والباعة يحجرون رحمة الله جل وعلا الواسعة، هذا القسم الأول المذموم الممنوع المحرم. أن تقسم على الله جل وعلا بما تحجر به رحمة الله الواسعة ومغفرته، ومقتضى ربوبيته ومقتضى آثار أسمائه وصفاته

هو جل وعلا يغفر ويرحم ويعطي ويرزق حتىٰ الكافر يرزقه وإلا إن لم يعطه الرب ويرزقه فمن يرزق الكافر الذي يعيش في هذه الحياة .

القسم الثاني: إذا كان القسم والحلف علىٰ الله علىٰ جهة حسن الظن بالله والثقة به وبما عنده فهذا لا بأس به ويستدل عليه أهل العلم بحديثين الأول معروف قصة أنس بن النضر الصحابي الجليل الذي لم يشهد غزوة بدر وكانت أول مشاهده غزوة أحد فلما غاب عن بدر قال لقد غبت عن أول مشهد قاتل فيه النبي ﷺ المشركين والله لئن أشهدني الله قتال هؤلاء لأفعلن كذا وكذا، فشهد غزوة أحد وأبلىٰ في المعركة بلاء حسنا عظيما وقابله سعد بن معاذ وهو داخل بسيفه علىٰ المشركين يقول والله إني لأجد ريح الجنة دون أحد فدخل وقاتل وقتل حتىٰ إنه لم يعرف وهيئته تغيرت، مثلوا به ولم يعرفه إلا أخته ببنانه أو بشامة فيه، أي علامة فيه، وكان فيه بضعة وثمانون طعنة في جسمه ما بين طعنة برمح أو رمية بسهم أو ضربة بسيف، فهذا الصحابي الذي هذا شأنه حصل معه موقف في حياته مع أخته الرُبَيع، ضربت جارية عندها فكسرت ثنيتها، الثنايا التي هي الأسنان الأمامية فلما احتكموا وشكت الجارية إلىٰ رسول الله ﷺ حكم بأن كتاب الله القصاص يعني لا بد للجارية أن تقتص من الربيع وتكسر ثنيتها، الربيع بنت النضر الذي ذكرنا قصته الآن فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنية الربيع؟ يعني أختي تكسر ثنيتها ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أنس كتاب الله القصاص**» فقال: لا والله لا تكسر ثنية الربيع. كتاب الله القصاص لقوله تعالىٰ ﴿**والسن بالسن**﴾.. لا والله لا تكسر ثنية الربيع.. هذا حلف ويمين وقسم علىٰ الله جل وعلا فهدىٰ الله جل وعلا هؤلاء الذين لهم الحق في

القصاص ورضوا بالدية رضوا أن يأخذوا الدية ويتركوا القَود أي القصاص..

فعفوا ورضوا بالدية فقال النبي ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**»..

إذا من عباد الله من لو حلف على الله جل وعلا لأبر قسمه ويمينه هذا إذا كان الحلف على وجه حسن الظن بالله والثقة به أن يفرج الكرب أو يزيل والكربة..

وفي الحديث الثاني المشهور المعروف في صحيح مسلم «**رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**» هذه رواية الصحيح وفي غير الصحيح «**ذي طمرين**» رب أشعث أغبر.. إنسان لا يؤبه له كما أيضا في رواية أخرى، مدفوع بالأبواب: يدق أبواب الناس ليدخل فيطردوه، فهذا المسكين الذي رأسه مغبر وشعث الرأس قد يكون فيه من الصلاح وإجابة الدعاء ما لو أقسم على الله لأبر قسمه ويمينه، هذا معناه أنك لا تغتر بالمظاهر، فقد يكون إنسان ضعيفا متضعفا وهو من أهل الجنة كما جاء ذلك في الحديث، فعلى الإنسان ألا يغتر بالمظاهر. « **رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره** » فهذا دليل على النوع الثاني من أنواع القسم الذي يكون على وجه حسن الظن بالله وليس على وجه الحد من رحمة الله جل وعلا الواسعة.. إذا هذان نوعان من الحلف أو القسم على الله جل وعلا، نوع مذموم وهو محل البحث في هذا الباب والحامل على هذا النوع المذموم القسم على الله إما أن يكون العجب أو المن أو إدلال الإنسان بعمله على الله جل وعلا وقد نزيد فيه زيادة جهل الإنسان بعاقبة ذلك وضيق أفقه وعدم إدراكه لخطورة هذا الأمر، قد يكون أحد هذه المحامل تحمله على هذا كما سيأتي في أحاديث الباب.

قوله (**باب ما جاء في الإقسام على الله**) المؤلف لم يجزم هنا بالحكم لأن الإقسام تختلف أنواعه ولا مانع أن يكون التقدير باب ما جاء في الوعيد أو من الوعيد في الإقسام على الله جل وعلا لأنه في أدلة الباب لم يذكر إلا النوع المذموم باب ما جاء من الوعيد في الإقسام على الله جل وعلا يعني في الإقسام في الحلف على الله جل وعلا.. الحلف على الله جل وعلا في الصورة الأولى منقص للتوحيد وفيه سوء أدب وجرأة على الله جل وعلا.

يقول الشيخ السعدي أما الإقسام على الله فهو في الغالب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله وسوء الأدب ، لأنه قد يكون لجهل الشخص..

قوله: « **عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله** ﷺ: «**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله : من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك**» **رواه مسلم** » راوي هذا الحديث جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي أبو عبد الله توفي ما بين سنة الستين إلى السبعين، ذكر ابن ماجه في سننه أثرا عن جندب يقول فيه: كنا ونحن فتيان حزاورة.. جمع حَزَوَّر وهو الفتى الذي كاد أن يبلغ، نسميه الآن المراهق، اشتد وقوي لكنه دون البلوغ أو كاد أن يراهق البلوغ، يحكي عن نفسه يقول: كنا ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن.. وهم فتيان في سن المراهقة كما يقولون الآن.. تعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن.. تعلموا العقيدة أولا وأمور الإيمان والتوحيد.. ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا.. هذا الأثر صححه الألباني . وهذا الأثر فيه فائدة تعلم الإنسان

التوحيد والإيمان والعقيدة قبل أي شيء آخر وأهمية ذلك، كنا ونحن فتيان حزاورة.. فتيان في سن المراهقة لمّا يبلغوا.. أربعة عشر أو خمسة عشر.

يقول ابن عمر رضي الله عنه : ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته.. يقرأ ما بين فاتحة المصحف إلى الخاتمة.. يقرأ من الفاتحة إلى الناس.. ما يدري ما امره ولا زاجره، يعني لا يدري بما يأمره القرآن ولا عما يزجره، لا يدري شيئا عن الأوامر ولا عن النواهي.. ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، فينثره نثر الدقل.. والدقل الذي هو رديء التمر أسوأ أنواع التمر يقرأ الشخص من الفاتحة إلى الناس لا يدري شيئا لا عن الإيمان ولا عن التوحيد ولا عن الأوامر ولا عن النواهي.. إذا كان هذا في زمان ابن عمر في زمان الصحابة فماذا تقول الآن وما حال القراء الآن سواء من الصغار أو الكبار وإلى الله المشتكى .

فهذا جندب بن عبد الله رضي الله عنه يذكر هذا الحديث يقول: « **قال رسول الله** ﷺ: «**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان**» » قال رجل.. يحتمل أن يكون هذا الرجل هو الذي سيأتي الآن معنا في الحديث الثاني الذي رواه أبو داود وسيأتي

قوله « **قال رجل: والله** » هذا يمين وقسم، يقسم على أي شيء؟ « **لا يغفر الله لفلان** » يقسم على رجل آخر أن الله جل وعلا لا يغفر له . يحجِر رحمة الله جل وعلا الواسعة ويمنع مغفرة الله جل وعلا ورحمته الواسعة ويتدخل في ربوبية الله جل

وعلا. ربما يكون فعل هذا غيرة لما رأىٰ من المعصية التي يقع فيها الآخر كما سيأتي في الحديث الآخر عجبا بنفسه وبعمله.. قد تأتي الغيرة أحيانا لكنها في غير موضعها ونفقد الغيرة في المواضع التي نحتاج إليها ، فهذه الآن غيرة في غير موضعها، غيرة لا تصلح، بل غيرة مضرة ضيعت عمل ذاك الشخص، ضيعت دنياه وآخرته، من أجل ذلك لا بد للمسلم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن تكون غيرته منضبطة بضوابط الشريعة، كمن رأىٰ رجلا مثلا يشرب سيجارة فكلمه مرة أو مرتين أو ثلاثا وهو مصر، لا يأخذ السيجارة من فمه ويصفعه علىٰ وجهه مثلا أو يأخذ السيجارة من فمه ويدوس عليها أمامه فيقع في مشكلة أكبر فقد يخرج الرجل عن شعوره ويسب الدين أو يسب الرب جل وعلا ويسب ذاك الشخص ويسب آباءه وأجداده وقد يضربه ضربة فيها هلاكه أو نحو ذلك، إذا أردت أن تغير المنكر لا بد أن يكون أمرك بالمعروف بالمعروف وأن يكون نهيك عن المنكر غير منكر، هذه قاعدة لا بد أن يضعها كل إنسان في ذهنه . فإذا أمرت بالمعروف لا بد أن يكون أمرك بالمعروف بالمعروف، بالكلمة الطيبة بالموعظة بالحكمة بالموعظة الحسنة وبالتدرج في الكلام مع الناس . فما أحوجنا إلىٰ هذه القاعدة، كثير من الناس تغلبهم أحيانا الغيرة والحمية للدين فينفرون الناس كما في الحديث «**إن منكم لمنفرين**». ينفرون الناس، والناس يحتاجون في دعوتهم إلىٰ الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والتذكير الرفيق وإلا ففيهم خير.. لذلك عليك أن تتذكر ماذا كنت قبل ذلك وكيف أو وبم اهتديت.. كيف يسر الله جل وعلا لك من تهتدي علىٰ يديه فكما قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ:

واجعل لوجهك مقلتين كلاهما من خشية الرحمن باكيتان

لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم فالقلب بين أصابع الرحمن

لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم: والبعض كان مثلهم كان مثل العصاة ويقول قبل ذلك:

(فانظر بعين الحكم وارحمهم بها): الحكم الكوني القدري.. (إذ لا ترد مشيئة الديان): القدر الكوني والحكم الكوني سرىٰ علىٰ هؤلاء..

(وانظر بعين الأمر): الأمر الشرعي.. (واحملهم علىٰ أحكامه فهما إذا نظران).. أنت تنظر إليه بعين الرحمة نعم وليس معنىٰ ذلك أنك تتركه، لا، انظر إليهم بعين الحكم الكوني وأن هذا قُدر عليه وابتلي بهذا البلاء الذي هو واقع فيه وهذه المصيبة فترحمه، وهذه الرحمة تدفعك إلىٰ دعوته.

وانظر إليهم بعين الأمر.. هذا الأمر الشرعي واحملهم علىٰ أحكامه فهما إذا نظران.. هذه الأبيات الأولىٰ.. ثم قال بعد ذلك:

واجعل لوجهك مقلتين كلاهما من خشية الرحمن باكيتان

لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم فالقلب بين أصابع الرحمن

نسأل الله السلامة والعافية.

قوله « **قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟**» يتألى: يعني يحلف مأخوذة من آلى إيلاء والأل والألية اليمين ﴿**للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر**﴾ الرجل الذي يحلف على امرأته ألا يقربها وألا يطأها فإن الحاكم يمهله أربعة أشهر فإن وطئها ورجع إليها وإلا أمر بطلاقها ﴿**يؤلون**﴾ آلى يولي ويؤلي إيلاء.. جمع الألية الألايا.. قال الشاعر:

قليل الآلايا حافظ ليمينه فإن سبقت منه الألية برت

يعني هو شخص قليل الألايا قليل الحلف يحفظ يمينه لا يقول كثيرا (علي الطلاق وعلي كذا والله ثم والله) يحلف في اليوم مئة يمين.

قوله « **فقال الله : من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟**» من ذا الذي يحلف علي ألا أغفر لفلان.. فهذا الشخص قد يمن الله جل وعلا عليه بالتوبة قبل موته يعني قبل أن يموت قد يتوب الشخص توبة صادقة توبة نصوحا فيغفر الله جل وعلا له فيكون من أهل الجنة فأنت لماذا تحجر رحمة الله الواسعة.

قوله « **من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟**» قد تدركه حسن الخاتمة فأنت لا تدري.. وهذا أيضا يدل له حديث «**من قال هلك الناس فهو أهلكُهم – أو**

أهلَكَهم» الذي يقول الناس هلكىٰ والناس ضائعون فهو أهلكهم يعني أول الهالكين أو أهلك واحد فيهم أو أهلَكَهم يعني فقد أهلكهم. فالإنسان لا يعمم هذه الكلمات وهذه المقولات بل يحسن الظن ويجتهد في دعوة الناس إلىٰ الخير، وتعلم أن مهمتك هي الدعوة وليس مهمتك هي أن تكون حاكما علىٰ الناس أو جلادا علىٰ الآخرين.. لا.. الحكم علىٰ الآخرين له أناس مخصوصون يحكمون علىٰ الأشخاص بناء علىٰ شروط تتوفر وموانع تنتفي قضاة أو علماء ربانيون راسخون في العلم فيترك لهؤلاء الحكم علىٰ الناس، فلان كافر فلان فاسق فلان مبتدع فلان ضال وهكذا.. لا.. أنت تجتهد في الدعوة والتبشير، تبشير الناس بهذا الدين العظيم وبما أعده الله جل وعلا للموحدين ولأهل الإيمان... ولست أنت القاضي أو الخصم أو الجلاد..

قوله : « **إني قد غفرت له، وأحبطت عملك** » انظر الآن انعكس الأمر غفر للمذنب المقصر وأحبط عمل هذا الذي تألىٰ علىٰ الله جل وعلا.. ويأتي في حديث آخر أن هذا رجل عابد.. والمؤلف يذكر في المسائل أن هذا يدل علىٰ قرب الجنة والنار.. أنه قد غفر لهذا المذنب وأدخله الجنة فصارت الجنة قريبة جدا منه والذي كان يظن أن النار بعيدة عنه أحبط عمله وأدخله النار والعياذ بالله، وهذا فيه حديث في الصحيحين وهو حديث ابن مسعود «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله**» شراك النعل هو السير الذي يكون بين الإبهام والأصبع الذي يليه « **الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك**» فالإنسان إذا علم بقرب الجنة والنار لا يغتر بعمله..

كالأئمة الكبار الإمام سفيان الثوري عند موته يذكر عنه الإمام البغوي أن حماد بن سلمة ذهب ليعوده في مرضه يقول البغوي: روي أن حماد بن سلمة عاد سفيان الثوري . كان سفيان مريضا فذهب يعوده.. فقال له : يا أبا سلمة أترىٰ الله يغفر لمثلي؟. يقول ذلك وهو سفيان بن سعيد الثوري الإمام الكبير إمام أهل المشرق أحد الأئمة الأربعة في عصره، سفيان بالمشرق والأوزاعي بالشام والليث بن سعد بمصر ومالك في المدينة، سفيان يقول لحماد بن سلمة يا أبا سلمة أترىٰ الله يغفر لمثلي؟.. هذا الإمام يقول عنه الحافظ ابن حجر في وصفه ستة أوصاف.. كل وصف منها كلمة واحدة فقط يقول عنه الحافظ ابن حجر: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة.. ستة أوصاف عظيمة الواحدة منها تكفي لتعديل الإنسان وبعضها تكفي لجعله إماما. ستة أوصاف عظيمة أعظم من مئات الشهادات والدرجات العلمية . ومع ذلك هذا الإمام الثقة الحافظ العابد الحجة يقول لحماد بن سلمة: يا أبا سلمة أترىٰ الله يغفر لمثلي؟.. يستقل عمله وهو إذا قرأت ترجمته في السير تجد في ترجمته العجب فضلا عن كونه إماما يعني آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر كان الأمراء يبحثون عنه بالمنقاش وهو يهرب من أبوابهم ويتلثم ويهرب إلىٰ مكة وإلىٰ الأماكن البعيدة منهم.. فقال له حماد بن سلمة: والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي لاخترت محاسبة الله علىٰ محاسبة أبوي.. يعني الإمام حماد يفتح له باب الرحمة.. يقول: وذلك أن الله أرحم بي من أبوي.. هذا نوع من التبشير للإنسان المريض برحمة الله سبحانه وتعالىٰ، فإذا كان هذا الإمام يقول ذلك فما بالك بنا وما بالك بمن دونه والله المستعان.

وقد روىٰ الإمام الدارمي عن علي رضي الله عنه قال: الفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معصية الله ولم يؤمنهم من عذاب الله.. هذه كلمة من علي رضي الله عنه عظيمة يحتاج إليها الداعية إلىٰ الله جل وعلا.. يقول: الفقيه حق الفقيه.. يعني الفقيه حقا من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معصية الله. يعني تكون دعوته بين الترغيب والترهيب. لا يقنط الناس من رحمة الله لا يقنط أهل المعاصي من رحمة الله الواسعة وأيضا لا يؤمنهم من عذابه.. يعني لو أنه رأىٰ إنسانا يريد أن يتوب مثلا ولهجته لهجة صادقة وندم علىٰ ما فات وجاء يتلمس ما عند ذلك الفقيه أو الداعي هل تمكنه التوبة أم لا ؟.. فيقول له: ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا**﴾ يعني دون الشرك.. حتىٰ الشرك إذا تاب الإنسان منه يغفره.. ﴿**إنه هو الغفور الرحيم**﴾ ولا تخفىٰ قصة القاتل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ثم ابتلي بسؤال عابد ليس عنده شيء من العلم فسأله عن التوبة فأخبره أنه ليس له توبة فأكمل به المائة.

وأيضا القصة التي في هذا الباب قصة العابد وقد يكون ذلك الرجل هو العابد الذي سيأتي في حديث الباب الفرق بين العابد والعالم أن العالم يبصر الناس ويدعوهم ولا يقنطهم والعابد الجاهل الذي يعبد الله جل وعلا علىٰ جهل يقنط الناس وإذا رأىٰ إنسانا يأتي بالمعصية أو علىٰ معاص قنطه وقال ليس لك توبة وليس

لك مغفرة وأنت من أهل النار وأنت من حطب جهنم وغير ذلك. لذلك نقول : العلمَ العلمَ .. ليخرج به الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور الهداية.. فلا يصلح للعبد أن يدعو إلى الله جل وعلا بدون أن يكون عنده علم بما يدعو إليه.. وعلم بالطريق الذي يدعو به.. وكلمة علي رضي الله عنه: الفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معصية الله ولم يؤمنهم من عذاب الله.. ثم يقول: لا خير في عبادة لا علم فيها ولا علم لا فهم فيه، علم بدون فهم مثل الخوارج، الخوارج عندهم علم لكن ليس عندهم فهم كما يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتوى الحموية : (أوتوا علوما ولم يؤتوا فهوما) حيث يقولون لا حكم إلا لله وكفروا بذلك الصحابة لأنهم جعلوا حاكمين اثنين. قال (أوتوا علوما ولم يؤتوا فهوما وأوتوا ذكاء ولم يؤتوا زكاة أو زكاء) أي زكاة لنفوسهم وتطهير لنفوسهم، فيقول علي: لا خير في عبادة لا علم فيها .. ولا علم.. يعني لا خير في علم لا فهم فيه ولا في قراءة لا تدبر فيها.. هذا رواه الدارمي عن علي رضي الله عنه .

قوله « **إني قد غفرت له، وأحبطت عملك** » ذكر المؤلف في المسائل « **أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه** » يعني قد تكره أمرا هذا الأمر الذي تكرهه فيه خير كثير لك ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم**﴾ ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**﴾ قد يكره الإنسان جار له يؤذيه ويصبر عليه ويدعوه فيجني من وراء هذا الجار وهذه الدعوة الحسنات العظيمة.. قد يصبر

الإنسان على أذى امرأة تؤذيه بلسانها أو بفعالها من أجل إصلاحها أو إصلاح أولادها ويكون في ذلك الخير الكثير. وكذلك الجهاد تكرهه النفوس وفيه خير كثيركإعلاء راية الإسلام وفتح البلدان ونشر الدين.. إلى غير ذلك.. ويحتمل أن يكون هذا المسرف على نفسه قد تاب.. أو أنه كان يتوب بينه وبين نفسه لأنه قال كما في حديث أبي داود «**خلني وربي**» يعني دعني وربي.. يعني يقول له دعني وربي أبعثت علي رقيبا.. يحتمل أن يكون كان يأتي بالذنب ويتوب ونحو ذلك..

وقد تكون المنح في المحن والبلايا والمصائب التي يصاب بها الإنسان . كما قيل: لا تنال الغرر إلا بارتكاب الغَرَر.. لا تنال الغُرر.. جمع غُرة وغرة الشيء أعلاه.. إلا بارتكاب الغرر.. الخطر.. فقد تكون المنح في المحن وقد يصبر الإنسان على أمر مكروه فيحصل من ورائه الخير الكثير.. وكل هذا لا بد أن يكون بالاستعانة بالله جل وعلا واللياذ به سبحانه وتعالى.

قوله « **وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد** » هذا الحديث رواه أبو داود في سننه برقم٤٩٠١ قال أبو داود: حدثنا محمد بن الصباح وهو صدوق قال حدثنا علي بن ثابت.. وثقه الإمام أحمد.. عن عكرمة بن عمار.. عكرمة اليماني.. ضعفه أحمد ووثقه ابن معين وروى له مسلم كثيرا قال ابن عدي إنه مستقيم الحديث إذا روى عنه ثقة. يقول: حدثني ضمضم بن جوس اليمامي تابعي ثقة من أوساط التابعين.. قال أبو هريرة رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان**

في بني إسرائيل متواخيين» يعني متآخيين.. يدل على أنهما ليسا بأخوين من النسب ولكنهما أخوان متآخيان كما يتآخى الناس.. فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول له أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر فقال له المذنب: خلني وربي.. يعني دعني وربي.. قال أبعثت علي رقيبا.. فقال له.. يعني المجتهد: والله لا يغفر الله لك.. أو: لا يدخلك الجنة.. انظر إلى القسم على الله والتألي على الله والحجر لرحمة الله الواسعة ولجنته.. يدخل الجنة هذا الشخص من يريد ولا يدخل من لا يريد.. قال والله لا يدخلك الله الجنة أو لا يغفر الله لك (فقبض أرواحهما) قبض الله جل وعلا أرواحهما.

فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد المطيع الذي يأتي بالطاعات والمجتهد في العبادة: أكنت بي عالما.. يعني تعلم ما كتبه الله جل وعلا أو تعلم علم الله جل وعلا . أو كنت على ما في يدي قادرا.. وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار.. الذي هو المجتهد.. قال أبو هريرة رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت.. يعني أهلكت.. دنياه وآخرته.. كلمة عظيمة.. يحجر رحمة الله جل وعلا على الناس.. والله لا يغفر الله لك.. أو لا يدخلك الجنة.. قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة.. يعني لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته..

هذا الحديث رواه أحمد في المسند أيضا عن ضمضم بن جوس اليمامي في المجلد الثاني صفحة٣٢٣ قال لي أبو هريرة.. يعني أبو هريرة يقول لضمضم: يا يمامي لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أو: لا يدخلك الجنة أبدا.. فقال له

ضمضم: يا أبا هريرة إن هذه لكلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب.. يعني قد يغضب الإنسان مع أخيه أو صاحبه وفي بعض الروايات أيضا لخادمه.. يغضب من الخادم فيشتمه أو يدعو عليه بهذا الدعاء.. قال: فلا تقلها.. يغضب عليه يقول والله ستدخل النار. يقول: فلا تقلها.. وحسنه الشيخ الأرناؤوط في تعليقه على المسند.

وذكر المزي هذا الحديث بسنده العالي في التهذيب وذكر أن آخره من قوله ﷺ.. الذي هو: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.. ذكر هذا المقطع من رواية أبي نعيم..

قوله في الحديث « **قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته** » أخرجه أبو داود في كتاب الأدب في النهي عن البغي وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.. وهذا أيضا يفيدنا في خطورة اللسان فعلى الإنسان قبل أن يتكلم بكلمة أن ينتبه لها.. وقد جاء من حديث أبي هريرة في الصحيحين مرفوعا «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**» يتكلم بكلمة لا يتبين فيها.. لم يلقي لها بالا وفي رواية «**لا يتثبت فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**».. هذا خطورة اللسان.

وفي الترمذي أيضا برقم٢٣١٤: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يرى أن تبلغ حيث بلغت يهوي بها في النار سبعين خريفا**» كلمة واحدة يتكلم بها يهوي بها في النار سبعين خريفا.. لا يظن أنها تبلغ حيث بلغت.. سبعين خريفا أي سبعين سنة

بسبب كلمة.. لذلك جاء في حديث سهل بن سعد في الصحيح «**من يضمن لي ما بين لحييه**» يعني لسانه «**وبين رجليه أضمن له الجنة**» الذي يضمن فرجه ولسانه يضمن له الجنة.

وفي الصحيح أيضا من حديث أبي هريرة في صحيح البخاري «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله**» يقول كلمة طيبة من رضوان الله تقولها في الدعوة تقولها في تطييب خاطر أحد من الناس «**من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات**» إذا أحيانا الإنسان يقول كلمة يسيرة ينتفع بها شخص آخر أو تطيب نفس أحد الناس أو تعزيه يرفعه الله جل وعلا بها درجات.. فإذا الكلمة الطيبة على المرأ ألا يبخل بها ولا يكون كما يقول بعض الناس الكسالى يعني هل هذه الكلمة هي التي ستنفع وهذا الشخص لا يؤثر معه شيء ولا يستفيد من شيء وكثير من الناس كلموه قبل ذلك. لا **ربما تكون هذه الكلمة هي المؤشر الأخير الذي سيحرك هذا الشخص** بإذن الله جل وعلا فلا تبخل بها، ربما يراك أحد وأنت ذاهب تصلي وآت من الصلاة وهو ينظر إليك يقول لماذا لا أفعل مثل هذا لماذا أجلس هكذا أمام المحل لأجل البيع والشراء وهذا يأتي ويذهب ويصلي ونور الصلاة يظهر على وجهه، ربما لو قلت له تعال يا فلان معي جرب يستجيب لك ، لكنك تبخل بهذه الكلمة وتقول هل هذا هو الذي سيصلي؟ هو منذ قليل قد فعل كذا وكذا.. لا.. «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم**» رواه البخاري.. وفي الترمذي «**ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب**» ويل للذي

يحدث بالحديث: كأفلام الفكاهة وأفلام الكوميديا «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم ويل له ويل له» قال الحافظ: إسناده قوي.. أفلام الكوميديا والتنكيت والنكت وتأخذ هذا الكلام من الأفلام ومن فلان أو فلان وثاني يوم في مدرستك أو في مكتبك تتكلم به وتلمز وتغمز به والويل : واد في جهنم والعياذ بالله.

والذين يمثلون هذه الأفلام ليتهم يسمعون هذه الأحاديث، حديث واحد من هذا يكفيهم ليغيروا مجرى حياتهم لكن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء، حياة الإنسان كلها بما يأخذه من أموال في هذه الأدوار والمسلسلات والأموال التي يأخذها كلها بما فيها السيارات وهذه العمارات لا تساوي غمسة واحدة والعياذ بالله في النار. كما «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار**» أكثر أهل الدنيا نعيما وهو من أهل النار «**يغمس في النار غمسة واحدة**» غمسة واحدة فقط «**فيقال له: يا فلان هل ذقت نعيما قط؟ يقول: والله ما ذقت نعيما قط**» ينسى كل نعيم الدنيا بغمسة واحدة في نار جهنم والعياذ بالله.. إذا ماذا تساوي هذه الحياة إذا كانت لا تساوي غمسة واحدة لماذا الإنسان يضيع حياته في الكذب واللهو والعبث والتمثيل وإضحاك الآخرين وكل هذا لا يساوي غمسة واحدة في جهنم والعياذ بالله.. لذلك قال القائل:

أمسك لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لسانه الشجعان

اللسان مثل الثعبان إذا خرجت منه الكلمة عضت ولدغت ولا تستطيع أن ترجعها مرة أخرى، فليحذر الإنسان من الكلمة خاصة التي فيها تحجير رحمة الله جل وعلا وتقنيط عباد الله من رحمة الله وتيئيس الناس من رحمة الله الواسعة، يحذر الإنسان أن يقسم ويتألى على الله جل وعلا فإن هذا من سوء الأدب مع الله جل وعلا والداعية إلى الله جل وعلا يدعو إلى الله جل وعلا بالطرق الشرعية والوسائل المرعية الواردة في الكتاب والسنة..

قوله :« **فيه مسائل: الأولى: التحذير من التألي على الله**»..

« **الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله** » كما في الحديث.

« **الثالثة: أن الجنة مثل ذلك** »

« **الرابعة: فيه شاهد لقوله: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة...» إلخ**»

« **الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه** » شيء يكرهه لكن فيه الخير الكثير .